كيف نتقي

حالات الاستهداف الفريدة

سواء أصحّ التفسير الذي سنراه[1] لحالات الاستهداف المتنوّعة كلُّهُ او بعضهُ ام لم يصحّ فالإصابات كثيرة ولابدّ من البحث عن علاج لها وقد ظلّ هذا العلاج متعذراً حتى سنة ١٩١١

في سنة ١٩٠٧ كتب الطبيب الالماني دنبار Dunbar في مجلة طبية فقال انهُ جرّب جميع الاساليب المقترحة لمعالجة « حمّى التبن »[2] في خلال السنوات العشر السابقة فلم يجد بينها اسلوباً ناجعاً . وفي سنة ١٩٠٥ حقن دنبار حبيبات اللقاح الذي يسبب «حمّى التبن » في جواد ثم استخلص المصل من دمهِ ورشّهُ على الغشاء المخاطي في انوف كثير من المصابين او المعرّضين للاصابة بهذه الحمّى فذهب سعاد ادراج الرياح . والتقى اثرهُ طبيب المانيٌّ آخر يدعى ويشهارت Weichhardt فأخذ مقادير من حبيبات اللقاح وغذّى بها طائفة من الماشية ثم اخذ مقداراً من دمها وفصل عنهُ المصل وحاول ان يستعملهُ علاجاً للمصابين « بحمّى التبن »فأخفق في ما حاول

ولكن في سنة ١٩١١ نشرت مجلّة « البلاسيت » الطبية مقالاً للدكتور لنرد نون Leonard Noon وصف فيهِ طريقة علمية لمعالجة حمّى التبن . وهذه الطريقة كانت مبنية على بحث لرجلين يدعيان روزينو واندرسن من اقطاب مختبر الصحة في وشنطن . كان هذان الباحثان يجربان التجارب في ظاهرة « الانافيلكسيس » . فالكلب الذي حقنهُ ربيته عادة غريبة اصيب بحالة الانافيلكسيس اي بسقوط قوة المقاومة فيهِ ، فلما حقن ثانية بالمادة نفسها اصيب باعراض التسمم فالموت . أما روزينو واندرسن فوجدا انهما اذا اتبعا الحقنة الاولى بحقن مقادير صغيرة جداً في جسم الكلب ، كانت الاعراض التي يصاب بها خفيفة جداً . ثم زادا المقادير رويداً رويداً حتى نشأت مناعة الكلب ضد هذه المادة

هذه المباحث دلّت الدكتور نون على الطريق فهو لم يحاول ان يختلف فعل المادة « الاليرجية » التي تحدث اعراض الاستهداف ، بحقنها اولاً في دم الجواد او بتغذية الماشية بها على نحو ما فعل دنبار وويشهارت بل صنع خلاصة مركزة من حبيبات اللقاح ثم أخذ جراماً منهُ وخففهُ مليون

---

(١) راجع المقال الاول في مقتطف مارس ١٩٣٩ صفحة ٢٦١ (٢) Hay fever

مرة ثم قسم الخمير مئتين جزء واطلق على كل جزء اسم « وحدة التفاح » . ثم بدأ تجاربهُ بحقن بضع وحدات من هذا المحلول زاعداً حقنها حتى بلغ حقنها (وحقنها تحت جلد المعرَّض لهذه الحمَّى . وبعد بضعة أيام حقنهُ بحقنة اخرى تحتوي على عدد من « وحدات التفاح » اكبر قليلاً من وحدات الحقنة السابقة . ثم تلتها حقن اخرى كلٌّ منها اكبر من سابقتها . وكان يحقن المعرَّض لهذه الحمى قبل حلول الفصل الذي يطير فيهِ التفاح من الاشجار فيسبب أعراضها . وعند حلول هذا الفصل ثبت ان هذا الرجل لم يصب باعراض المرض . وقد جرَّب نون طريقتهُ هذه على المصابين اصابات دزمنة فشفي بعضهم شفاء تامًّا وتحسنت حالة البعض الآخر فقدت اصابتهُ خفيفة

واذا كان نون اوَّل من طبق هذه الطريقة من العلاج على « حمى التين » فانها استعملت قبلاً في الملايا ضدَّ شدة الاحساس ببعض العقاقير ، وضدَّ الاستهداف لبعض اصناف الطعام. فاباحث « بادامون » استعملوا في سنة ١٨٩٠ لعلاج مرضى كانوا شديدي الاحساس ببعض العقاقير فلا يطيقون تناولها . وتبعهُ سكوفيلد في انكلترا فاستعملها سنة ١٩٠٨ لعلاج رجل كان يصاب باعراض مرضية اذا كان في طعامهِ آثارة من البيض فصنع سكوفيلد حبوباً وضع في كل حبة منها جزءاً من عشرة آلاف جزء من بيضة نيئة وأوصى الرجل بان يبدأ بتناول حبة واحدة في اليوم ثم زاد جرعتهُ رويداً رويداً حتى اصبح الرجل قادراً على ان يطيق البيض في طعامهِ

واقترح طبيب اميركي يدعى شلوس Schloss حقن سكوفيلد ، ولكنهُ تقدمهُ خطوة . ذلك بان صيَّاجاء شلوس فحصهُ ويجدهُ مستهدفاً لتأثير البيض والتوز والزبير . فأخذ المواد البروتينية في المواد الثلاث وحقنها فوجدها بروتيناً مشتركاً بين بروتيناتها الثلاثة . ثم امتحن هذا البروتين فوجدهُ العامل الفعال في احداث اعراض الاصابة في الصبيّ ، فصنع حبوباً اودعها هذا البروتين واوصى الصبيَّ بتناول ثلاث حبَّات منها ثلاث مرات كل يوم مبتدئاً في اواسط اكتوبر عند ما كانت الجرعة تحتوي على ملغرامين من هذا البروتين . فما اقبل شهر يناير كانت قد اصبحت تحتوي على سبعة غرامات وعندئذٍ وضع الطبيب في غذاء الصبيّ بيضاً فأكلهُ ولم يصب بالاعراض التي كان يصاب بها

على هذه الاسس قامت الطريقة الحديثة في معالجة المستهدفين وقوامها معرفة المادة التي تحدث الاعراض ثم استخراج العنصر الفعَّال فيها الذي ترد الاعراض اليهِ ثم تصنع منها حبوب او حقن متدرجة المقادير يتناولها المصاب رويداً رويداً الى أن يصبح قادراً ان يأكل او يشم او يلمس المادة الاصلية نفسها من غير ان يصاب وفي بعض العيادات الطبية حقن وحبوب جاهزة يمتحن فعلها فاذا نجحت فيها وإلاَّ فيجب إجراء بحث خاص على الاسلوب المتقدم

بعض المصابين يشفون شفاء تامًّا باتباع هذه الطريقة وبعضهم لا ينال الاَّ بعض الشفاء وبعضهم يبقى على حالهِ ومن الشكوك فيهِ ان يكون هناك علاج ناجع على اطلاق القول . حتى

ذا استطاع المصاب ان يفيد من هذا العلاج قدرة على تحمل المادة التي كانت تؤذيه فيعود ثم معرّض للاصابة اذا كان شرهاً في تناول المادة ، او تعرّض كثيراً لحبيبات اللقاح او الغبار او غيرها

بعض الاصابات يمكن ردّه الى سبب معيّن كحبيبات اللقاح من نبات الحرقة ، او الأحياء البحرية ، او عقار خاص وعندئذ تكون معرفة العلاج ميسورة . ولكن سبب بعض الاصابات الاخرى يبقى غامضاً لاسبيل الى معرفته الا ببحث دقيق . ومثل الاطباء على ذلك قصة ربّان كان يصاب بربو شديد وهو في البحر ويبرأ منهُ عندما يرجع الى اليابسة . ولم يُعلم لحالته هذا سبب معيّن . وبعد البحث الدقيق وُجد سبب اصابته الى تأثره بنبات « الكابوك » Kapok الذي تحشى به وسائده ومقاعد حجره في الباخرة فلما عرف السبب سهل العلاج

وقد استنبط العلماء غير وسيلة واحدة لكشف استهداف الجسم للتأثر بأحد العوامل التي تحدث فيه هذه الحالات المرضية الغريبة من مثل حبيبات اللقاح ودقائق الغبار وأنواع الاطعمة والعقاقير وغيرها. ومن اشهرها ما يعرف « بكاشف الخدش » Scratch test وطريقته ان يخدش الجلد ثم يوضع على الخدش خلاصة مستخرجة من المادة التي يراد معرفة تأثيرها في الجسم وهل هو يتأثر بها او لا . فاذا كان الجسم قابلاً للتأثر بها احمرت البقعة حول الخدش وتورّمت في عشرين الى ثلاثين دقيقة . وقد يطبق هذا الكاشف معدلاً تعديلاً يسيراً بوضع قطرة من خلاصة المادة على الجلد ثم وخزه حيث توضع ومراقبة تأثيرها فيه . او قد تحقن الخلاصة تحت الجلد او قد توضع الخلاصة على الجلد السليم بغير خدشه او وخزه وتبقى هناك ساعات او اياماً بلصق قطعة من ورق « السلوفان » عليها . والمبدأ واحدٌ في جميعها

وهناك كاشف آخر قائم على حذف المادة المشتبه فيها من طعام المعرّض لهذا الضرب من الاصابات او من لباسه او الوسادة التي ينام عليها. فاذا كانت المادة المشبوهة في احداث الربو ريش الطير مثلاً وكانت وسادة الرجل محشوة به صنعت له وسادة محشوة بالصوف او القطن . اما في الطعام فقد صنع الدكتور الفاريز Alvarez طعاماً قوامهُ لحم الضأن والرز والزبد والسكر والكمثرى المحفوظة في العلب . وهذه المواد قلما تسبب ضرراً لآكلها . ثم يبدأ الرجل باضافة الاطعمة الاخرى الى هذا الطعام واحداً واحداً ويراقب تأثيرها فيه

الا أن هناك فريقاً من الباحثين يرى ان كواشف الجلد مفيدة ولكنها ليست حاسمة. ومنهم الدكتور بركان احد اطباء عيادة مايو المشهورة وهو يشير الى غير حادثة كان الرجل فيها معرّضاً للتأثر بالبيض فاذا كان البيض في طعامه اصيب باحدى هذه الحالات المرضية الشديدة ولكن كاشف الجلد كان سلبيًّا . يقابل هذا انهُ رأى اناساً يتأثرون بالكاشف الخاص بالبيض مثلاً ثم اذا وضع البيض في طعامهم اكلوا هنيئاً مريئاً